روائح المدينة

حسين الواد

غضب إمام الجامع القديم من فتح الماخور . ألقى في إحدى الجمع خطبة سماها بعض المصلين " الماخورية" قال فيها، بعد أن تحدث طويلا عن العفة والإحصان وعما وعد به الله المؤمنين من حسان أبكار في الجنان : "هاهم، عباد الله، ينشرون الموبقات ويفتحون للفروج والدبور البيوت تمارس فيها الرذيلة وتغتال الفضيلة ويزهق العفاف أمام الخاص والعام ". قال الذين شهدوا تلك الجمعة وكانوا على مقربة من الإمام: " إنه استعبر وبكى وقال آه ثلاثا وأغمي عليه فرشّه المصلون بالماء ورمته إحدى المصليات بمنديل مضمّخ بروح الورد والقرنفل والآس فأفاق ولولا ذلك المنديل المعطّر ما كان يفيق ". شهرت الخطبة الماخور وعرّفت به أهل المدينة أجمعين.

ذهبوا إليه أول الأمر متنكرين يلتحفون الستر. إذا صادف فيه الواحد منهم معرفة تجاهله. ثم صاروا يذهبون إليه دون استحياء. أصبحوا يقسمون به . يقول الواحد منهم لإقناع الآخر : "وحق الميم والخاء والراء" فيعلق بعض المارة ب "ما بعد الميم والخاء والراء شيء ". انتبه أحد الأغراب الولوعين بالتنقيب عن أسرارنا إلى العبارة فكتب في تأليف له عن مدينتنا : " لهم ولي صالح اسمه الميم والخاء والراء، يعظمونه كثيرا وينسونه له كرامات عجيبة، ويتكتمون عليه، لم أهتد إلى مقامه".

لم يمض زمن طويل حتى أصبح أهل مدينتي سعداء بماخورهم. أصبحوا يقولون في المنافرات الكثيرة التي كانت تحصل بينهم وبين جيرانهم سكان القرى القريبة يوم السوق الأسبوعية : "هل في قرية من قراكم التافهة ماخور مثلما في مدينتنا التي تكرهون ماخورها؟ أم أن جميع دوركم مواخير؟ هل سمعتم بالمواخير أو شاهدتموها إلا في المدن العظيمة والعواصم الشهيرة؟